الجـــود رجـــل

يقول معن بن زائدة..

لما كنت مطارداً من أبو جعفر المنصور بخلاف بينى وبينه ذاك أنى وقفت ضدة لما حاسر «واسط» فدافعت عنهاوأريته العجب العجاب فى القتال فلما تولى الخلافة جد فى طلبى لمعاقبتى ومحاسبتى وما أظنه إلا قاتلى فخرجت من بغداد متخفياً متوجهاً إلى البادية من باب يقال له «حرب» وإذا بعبد أسود متقلداً سيفه.يتبعنى حتى إذا غبت عن الحرس. قبض على خطام جملى فأناخه وقبض على يدى. فقلت له..

ما بك..؟

فقال: أنت طلبة أمير المؤمنين.

فقالت: ومن أنا حتى أطلب..؟

فقال: أنت معن بن زائدة.

فقلت: يا هذا.إتق الله عز وجل. وأين أنا من معن..؟

فقال: دع هذا. فإنى والله لأعرف بك منك..

فلمارأيت منه الجد قلت له..

يا هذا.. هذا عقد جوهر قد حملته معى. وهو يقدر بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بى. فخذه ولا تكن سبباً لسفك دمى..

قال: هاته.

فأخرجته اليه. فنظر ساعة فيه وقال:

صدقت فى قيمته. ولست بقابله حتى أسألك عن شيء. فإن صدقتنى أطلقتك..

فقلت.. قل.. سل..

فقال: إن الناس قد وصفوك بالجواد. قلت: بلى..

قال: فأخبرنى هل وهبت مالك كله قط..؟

قلت: لا..

قال: فنصفه..؟

قلت: لا.

قال: فثلثه..

قلت: لا.

حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت.

أظن أنى فعلت هذا.

قال: ما ذاك بعظيم. أنا والله رجل فقير. ورزقى من أبى جعفر المنصور كل شهر عشرون درهماً. وهذا الجوهر قيمته ألوف الدنانير.. وقد وهبته لك. ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس. ولتعلم أن فى الدنيا من هو أجود منك. فلا تعجبك نفسك. ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته. ولا تتوقف عن مكرمة..

ثم رمى العقد فى حجرى.. وترك خطام الجمل.. ومشا منصرفاً

فقلت: يا هذا والله لقد فضحتنى..

قال: أردت أن تكذبنى فى مقالى هذا..؟ إذهب فوالله لا آخذه ولا آخذ لمعروفى ثمناً أبداً.. ومضى لسبيله.

obeikandl.com

فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجىء به ما شاء. فما عرفت له خيراً..

ورغم هروبه من المنصور وتنقله فى البادية هارباً. ينام فى أماكن لا تليق به «كمعن» ويلبس أردية خشنة لم يكن يتحملها فى عزه وجاهه. إلا أنه ذات يوم وهو متنكر فى يوم سمى بيوم الهاشمية حيث فاجأت مجموعة من المارقين بخرسان المنصور بثورة عارمة جبهوه بها. وهم يحفون به للتسليم عليه. حتى حالوا بينه وبين جنده وكادوا يقضون عليه.

يقول معن بن زائدة..

فلما رأيت ذلك. نسيت ما بينى وبينه ورفعت لثامى ورميت بنفسى عليهم كالبلاء النازل. فأعملت فيهم السيف كأنه شعلة من جهنم. ومازلت بهم حتى شققت طريقاً بينهم لجنوده فأتوا اليه وحموه وفرقتهم عنه. ومكنت للجند من أن يقبضوا عليهم. وخرج المنصور كأنه خرج من قبر. وكان أول ما قال:

ايتونى بهذا البطل. الذى أنقذنى من الموت ورد علىّ حياتى..

فلما مثلت بين يديه بعد أن كنت قررت فى نفسى الهرب لكن جملى قد عقر.

قال: من أنت.؟

فصمت ساعة ثم قلت له.

أنا من تطلبه يا أمير المؤمنين. أنا معن بن زائدة. ها أنا ذا بين يديك.

فأستحيا المنصور. وشكر لى هذا اليد وأكبرها. وقربنى منه حتى صرت أكبر قواده على الإطلاق.

عمـــى الحـــق

عم الحكم. صاحب الأندلس. الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموى. يقف أمام القاضى فى خصومة بينه وبين أحد الناس. وظن العم أن له مكانة أخرى يعلو بها على الناس لأنه عم الخليفة. فأراد أن يتحدث قبل أن يأذن له القاضى. فقال له:

قف بحذاء خصمك. ولا تتكلم حتى أكون أنا الذى أسألك.

فلما أدلى الخصم بدعواه. قال للمدعى عليه.. وهو عم الخليفة..

ما تقول..؟

قال. ليس علىّ شىء. أصلح الله القاضى.

فقال القاضى.. هات بينتك..

فقال: ألا يكفيك قولى..؟

قال القاضى. لو كفانى ما سألتك البينة. بينتك..

فقال: أمهلنى..

وذهب العم مغاضباً إلى إبنه أخيه الخليفة الحكم بن هشام. فقال له: ست تعرف أن لى على فلان كذا.؟

قال الخليفة: نعم. بلى.

قال العم: أتشهد لى..؟

obeikandl.com

قال الخليفة: أنت تعرف أن القاضى ربما لا يقبل شهادتى لك..

قال العم.. كيف وأنت الذى وليته القضاء.

قال: هو ما أقول لك.

قال العم: فمن يشهد لى..؟

فدعا الخليفة فقيهين عالمين وكتب شهادته أمامهما وأشهدهما عليها وقال:

إمض بها إليه وأنا أخاف ألا يقبلها.

فلما كان يوم المحاكمة.

قال القاضى.. بينتك.

فأبرز له شهادة الخليفة.

فقال القاضى. أنا لا أقبل شهادته.

فإستشاط العم غضباً. وعاد إلى إبن أخيه يقول له..

أنت ملك البلاد. والقاضى يرد شهادتك. ماذا بقى لك من الكرامة والسلطان.؟

وضحك الحكم قائلاً له:

ألم أقل لك يا عم؟ إن القاضى رجل صالح لا تأخذه فى الله لومة لائم عمل ما يجب عمله. فأحسن الله جزاءه.

قال العم. فأعز له..

قال الخليفة.. أعوذ بالله أن أخون المسلمين فى عزل مثله؟

أنا عملت ما على وشهدت لك. وللقاضى أن يقبل الشهادة أو يردها.

ولما سئل القاضى بعد ذلك..

لماذا رددتشهادة الخليفة..؟

قال:" يا أخى. والله ما رددتها لنقص فى عدالته. ولكنلابد من سؤال المدعى عليه عما يقوله فى الشاهد. فهل يجرؤ المدعى عليه الطعن فى شهادة الخليفة إن قبلتها.

سبحان الله..

هلكان هذا القاضى وهؤلاء القضاه أرهابيون.

obeikandl.com